ازمة الحركة الثورية في اميركا اللاتينية (٢)

الثورة المسلحة في المدينة والريف

هناك الكثير من اوجه التشابه بين الحركة الثورية في امركا اللاتينية وبينها في البلاد العربية ، ولذلك فان الاطلاع على التجربة الثورية هناك ، والحوار الدائر حولها والدراسات التي تجري بشانها ، يظل مهما ليس فقط للتعرف على تطورات العمل الثوري ، الفني ، في امركا اللاتينية ، ولكن ايضا لتصويب خطوات التجارب الثورية العربية ، والتفاعل مع التطورات المستمرة على صعيد العمل الثوري في العالم ..

الدراسة التالية كتبها « ادغار رودر يغز » ، عضو القيادة المركزية لجبهة التحرر الوطني لفنزويلا ، وسيلاحظ القارىء المدى الذي ينطبق فيه تحليل رودريغز على التجربة العربية ايضا ، وكنا قد نشرنا في العدد الماضي الجزء الاول منها ، وفيما يلي الجزء الثاني والاخير .

« الهدف »

لم تكن اساءة تقدير العدو هو الخطا التكتيكي الوحيد الذي تضمنته الرؤيا الاستراتيجية الجديدة التي ولدت في اوائل الستينات والتي تبناها الملية الثوريين بادىء ذي بدء .

وقد ركزت الرؤيا الجديدة على ثلاث نقاط اساسية :

١ – ان قوات العصابات تستطيع ان تنتصر في حربها ضد الجيش النظامي .
٢ – ليس من الواجب دوما انتظار نضوج كل الشروط المؤاتية للثورة ، بل من الممكن ان تخلق البؤرة الثورية نفسها عددا من هذه الشروط .
٣ – في امركا المتخلفة ، الارياف هي الارض الاساسية لممارسة الكفاح المسلح .

ان النقطتين الاولى والثالثة صائبتان تمام الصواب ، وقد اثبتت الممارسة الثورية صحتهما. لكن النقطة الثانية غامضة ويمكن ان تشكل المصدر النظري لعدد من الاخطاء التحليلية والعملية في كل قطر امركي ينطلق فيه الكفاح المسلح .

ومنذ ان صيغت هذه المقولات ، استطاعت الحركة الثورية في القارة الامركية ان تكتشف ، عبر الانجازات والاخفاقات في كل اطار ملموس ومن خلال الظروف التاريخية الحالية ، عددا من القوانين المميزة للكفاح المسلح والتي لم تكتشف في البدء . وقد استطاعت الحركة الثورية ان تعيد النظر في عدد من النظريات التي اثبتت عدم ملاءمتها للواقع . وهذه العملية الاخذة في النمو حاليا ، كانت صعبة وايجابية في آن واحد . ولم تتعرف عليها الاوساط التقدمية في العالم التي ما تزال حتى كتابة هذه السطور ، تخلط ما بين مجمل الافكار السابقة التي نعتت ب « نظرية البؤرة الثورية » وبين المواقف الفعلية الحالية للحركة الثورية الامركية .

وقد كان ريجيس كبش الفداء في الاخفاقات التي ارتبطت بها الافكار المبتكرة التي طرحت الكفاح المسلح بشكله الراهن .

وقد حدث ذلك ، لان دوبريه نجح بالضبط في طرح اشهر الافكار الخاطئة في الاتجاه الجديد ودافع عن صوابها . وحدث ايضا لان كتابة « ثورة في الثورة » ظهر في الفترة التي اجهضت فيها تجربة بوليفيا ، حيث تكررت بشكل ماساوي كل الاخطاء البارزة في الكتاب ، وحدث ذلك اخيرا لانه ، في فترات الازمات ، تبرز كل نقاط الضعف وكل النواقص التي يتميز بها خط معين ، حتى ولو كان هذا الخط صحيحا بصورة اجمالية .

ولكننا لا ننوي هنا مناقشة افكار دوبريه مرة اخرى ، نريد فقط التذكير بقيمة مؤلفات دوبريه كتعبير معين عن موقف معين من الثورة الامركية اللاتينية . لقد دحض مرسيلو دي اندزادي الاخطاء الاساسية في كتابات دوبريه الا وهي :

١ – سوء تقدير المرحلة التي تسبق العمل الانتفاضي المسلح .
٢ – مفهوم عفوي لنضال الجماهير .
٣ – سوء تقدير التنظيم السياسي في الارياف وخاصة في المدن خلال العمل .

(انظر دراسة اندزادي في كتاب جماعي اصدرته دار الطليعة عن « البؤرة الثورية ») .

اما بالنسبة لموضوع توفر الشروط الموضوعية للكفاح المسلح ، فقد نبع الطرح الخاطىء عن حالة التمخض الثوري التي كانت تعيشها امركا اللاتينية غداة انتصار الثورة الكوبية . « يجب الا ننتظر دائما ان تتوفر كل الشروط لكي نفجر الكفاح المسلح . ان البؤرة الثورية تستطيع خلق هذه الشروط » . هذا الكلام يعني بالطبع ان البؤرة الثورية تستطيع ، بمحض وجودها ان تخلق بعض الشروط المؤاتية ، ولا احد يشك بذلك . لكن المقولة بشكلها العام وبظروف الستينات يمكن ان تعني ايضا (وهذا ما عنته بالنسبة لبعض الثوار) : « ان البؤرة تستطيع ان تخلق كل الشروط الذاتية المؤاتية .. » اي ان مجرد وجود الشروط البنيوية (السياسية – الاجتماعية) اللائمة يكفي لكي تباشر البؤرة الثورية بالعمليات الحربية وتجر وراءها الجماهير دون اخذ الاداة السياسية الضرورية للقرب من السكان ولبناء التنظيم الثوري ، بعين الاعتبار .

ويشكل هذا الطرح الهيكل العظمي لبعض مقولات دوبريه التي وضعت اكثر من مرة موضع التنفيذ ، والتي نعلم ماذا كانت نتائجها . ولكي نفهم هذا الانحراف بكل ابعاده ، لا بد لنا بعودة الى الفترة التي مرت بها امركا اللاتينية في اوائل الستينات : الاجواء الشعبية المعباة بالحقد على الدكتاتوريات ، والتي انفجرت عندما تهاوت هذه الانظمة الواحد تلو الاخر – التقبل الايجابي من قبل الجماهير للجهد الصامت الذي بذلته مجموعات مقاومة الدكتاتوريات والذي لم يظهر الا في ساعة الانتصار – تواجد المنظمات المدينية في كوبا ، التي ناضلت سرا ضد نظام باتيستا الى جانب مجموعات الجبل ، ووسط تراث حديث وغني من النضال الثوري في الارياف – المغالاة في تقدير القدرة الاستقطابية للبؤرة الثورية مقابل الاستخفاف بدرجة التوتر الثوري لدى الجماهير والعمل الدؤوب لمنظمات المقاومة الصامتة . تلك كانت المعطيات التاريخية العاطفية لاول تحليلات المجال الجديد الذي انفتح امام النضال المضاد للامبريالية . تلك كانت مجموعة الخطوط التي انبثقت من احدى مقولات جيفارا واصبحت مصدر ايحاء ادى الى نتائج مؤلمة دفعت احد الثوريين الكوبيين الى القول : لقد دفعنا غاليا ثمن اضافاتنا الى الماركسية (!)

ان اهم العوامل التي حالت دون تقدم العمل الثوري في امركا اللاتينية في الستينات كانت تلك الاخطاء النظرية والعملية التي انبثقت من حادثة تاريخية لم تفسر بعد بكل اوجهها ، الا وهي ثورة كوبا .

لقد كان هنالك في هذه الفترة استخفاف واضح بالقوة الامبريالية وتعبيراتها القارية . ومن ناحية اخرى ، كان عدد من البؤر الثورية في اواسط الستينات لا يزال يتمخض في داخل احزاب وحركات عاجزة عن ان تقوم بالمهمات المطلوبة لتفجير الكفاح المسلح .

لكن رغم كل هذه الحواجز ، شقت الحركة الثورية المسلحة طريقها . هنالك حركات وضعها صعب وهنالك حركات يتم استيعابها من قبل الاحزاب الكلاسيكية ، وهنالك حركات احرزت تقدما ملموسا . لقد اثبتت هذه البؤر ، عبر وجودها النشيط والشرس ، رغم المحاصرة والمطاردة المستمرة ، على انها جديرة بالبقاء ، ان التوباماروس في اورغواي ورفاق مريغيللا ولامركا في البرازيل ومقاوير كولومبيا وغواتيمالا ونيكاراغوا وفنزويلا (بقيادة دغلس برافو وكرلس بتنكور) يقدمون كل يوم امثلة حية على نمو حركة الكفاح المسلح في قارتنا .

لقد اضطرت الحركة الثورية المسلحة في امركا اللاتينية الى سلوك طريق صعبة ، مشبوبة بالحواجز المفاجئة ، وذلك لكي تبقى ، ثم لكي تشق طريقها في الزمن لان تعاطف ال[...] مهما يكن واضحا ، لا يكفي لتجاوز كل ال[...] وللتغلب على قوة العدو المستمر .

في اوائل الستينات ، كان ثوريو كولومبيا وغواتيمالا وفنزويلا يخوضون نضالا جديدا ، كان يعترف التقدميون المخلصون بصواب خطه ، لكن الثوار لم يكونوا يسيطرون عليه الا جزئيا . وبالفعل ، في هذه البلدان الثلاثة ، كانت الاحزاب الشيوعية ، لظروف مؤقتة دفعتها الى لعب دور طليعي ، هي التي بادرت بالكفاح المسلح في الارياف والمدن ، وسوف تستغل المنظمات الشيوعية الظرف السياسي الملموس الذي كانت تمر به هذه البلدان ، لكي تبنى الاجهزة الاولية التي ستشكل بذور الحزب والجيش الثوريين في المستقبل ، عبر الازمات اللاحقة ، والترددات ، والهجمات والتراجع وتدخل « القوات الخاصة » الامركية وعدة مصاعب اخرى .

وبالفعل استطاعت البؤر الاولى ان تستمر وتنمو بسبب تقبل الجو الاجتماعي والسياسي لرسالتهم ، وايضا عبر المساعدة التي قدمتها لهم المنظمات الشيوعية التي خدمت بذلك ، ولو لفترة قصيرة ، المسيرة الثورية .

وبما ان تجربة فنزويلا تعطي فكرة جيدة عن عملية نمو الحركة المسلحة وسعيها للبقاء ثم للنمو ، فسوف نحاول ان نصفها ونحللها مركزين على الدروس العامة التي بالامكان استخراجها من هذه التجربة الخاصة :

بعد اسقاط الدكتاتور بيرز خمينز في عام ١٩٥٨ ، كان الحزب الشيوعي الفنزويلي ، الذي كان قد اتبع خطا صحيحا خلال المقاومة ، يتمتع بنفوذ واسع لدى الجماهير وبصلابة داخلية جيدة . وخلال مؤتمره الثالث ، المنعقد في كراكاس عام ١٩٦١ ، قرر الحزب ، رغم راي جناحه المحافظ ، ان يتبنى خط الكفاح المسلح ، الذي يعبر بصدق عن تصاعد مستوى وعمق الروح النضالية لدى الاعضاء . وهكذا تم انشاء اول البؤر الثورية في ارياف ومدن فنزويلا .

وكانت بداية عام ١٩٦٢ مليئة بالبشائر الطيبة ان على المستوى الدولي – فقد عبر جيفارا في بنتادل استي بدقة ووقع كبيرين عن مشاعر جماهير امركا اللاتينية – او على المستوى الوطني – كانت البلاد تشهد اضرابا عاما لعمال النقل وضع ديمقراطية بتنكور موضع الخطر .

وخلال اشهر شباط ، اذار ، نيسان ، ظهرت ١٧ جبهة قتالية لم يبق منها في نهاية السنة سوى جبهة واحدة : جبهة « خوسي ليوناردو خيرنيس » ، يقودها دغلي برافو في ولاية فلكون . وخلال نفس السنة ، سوف تستطيع جبهتان فككتا في نيسان ان تتجاوزا الفشل الابتدائي ، وتعيدا تنظيمهما على قواعد اكثر صلابة ، وهما جبهة « لارا » بقيادة ارغميرو غيتبين ؟ لا – « لافا » بقيادة غيلدون وجبهة « الانـد » بقيادة فبريسيو اوخيدا – وسوف تشكل هذه الجبهات الثلاث، الذراع المسلح للحزب الشيوعي في غرب البلاد لمدة سنوات .

وفي نفس الوقت كان حزب « المر » الثوري ينظم جبهات كفاح مسلح خاصة به في وسط وغرب البلاد .

وفي نهاية عام ١٩٦٢ دمجت القوات المسلحة للحزبين في اطار « القوات المسلحة للتحرير الوطني » .

ومن ناحية اخرى ، كانت المدن شبيهة « بالبراميل الثورية » على وشك الانفجار : ففي العاصمة وحدها ، كان هنالك ثلاث فصائل مقاتلين كبيرة ، اثارت تخوف « البنتاغون » ، واستطاعت مثلا ان تفهم مقر البعثة الامركية وتعرب الكولونيل بردل من المقر عاريا [...] النشاط السابق للحزب الشيوعي في العاصمة والتراث النضالي لاهالي كراكاس [...] وحدات مقاتلي المدينة دون عناء كبير .

وكان وضع مقاتلي الريف يختلف كثيرا [...] ان الوسط الذي نموا فيه ، اي وسط الفلاحين منعزل عمليا عن الجو المعبا والمتوتر الذي يميز المدن . ومن ناحية اخرى ، بعد ان زج في مهمة الحرب الصعبة اختار الحزب الشيوعي ان يزاول هذه الحرب حسب طبيعته غير الثورية : اي كبادرة تسعى الى انتفاضة مدنية على المثل القصير وليس على ما هي عليه فعلا : اي كحرب تحرير شعبية يجب أن تنمو في الارض الاكثر ملاءمة لتكوين بطيء وتدريجي لجيش ثوري ، اي في الريف وفي المناطق المختلطة ، حرب شعبية يجب ان تنمو من خلال الاحتمالات الانتفاضية الكامنة في المدن ، ويجب ستشكل العامل المفجر للكفاح وليس العامل المهيمن على المدى الطويل .

ولم يطرح الحزب الشيوعي على نفسه بجدية مشكلة تكوين جيش ثوري كمهمة استراتيجية اساسية ، رغم ان الظروف العامة والملموسة كانت مؤاتية وقتذاك لمثل هذا الطرح .

وقد اثبتت ذلك الطريقة التي استعمل بها جبهاته المسلحة النامية في الارياف . فقد ادى التوزيع غير المسؤول للجبهات الى تدميرها كليا او جزئيا ، عندما امر الحزب الشيوعي بالمباشرة بالعمليات العسكرية ، هواء كراكاس العاصمة . فقط في ولاية فلكون ، لم تحدث كارثة لان دغلس برافو رفض ان يقاتل قبل الاوان . وقد اثبتت السنين ان موقفه كان متوافقا مع ضرورات بناء الادوات المناسبة لحرب طويلة :

— التحضير الصبور للقطاع ، قبل المباشرة بالعمليات العسكرية ،
— تحديد المهمات القتالية بما يتلاءم مع نمو وحجم البؤرة الثورية بدل القتال من اجل احداث الانتفاضة – او الانقلاب – في المدن
— التنسيق بين الجبهات المقاتلة على اساس خطة استراتيجية متماسكة ، بدلا من عزل الجبهات الواحدة عن الاخرى وتقرير نشاطاتها من قبل هيئة اركان متواجدة في العاصمة ، وعلى اساس الظروف السياسية المتقلبة .

وظلت هذه الازدواجية في التصور والعمل قائمة حتى وقوع انشقاق داخل الحزب الشيوعي عام ١٩٦٦ ، واعادة بناء الحركة المسلحة على اسس اكثر ملاءمة للتصورات الاستراتيجية الثورية طويلة الامد .

[...] ، وخاصة خلال السنوات الاولى [...] الهياكل التنظيمية الشيوعية [...] لترسيخ الجبهات ، وذلك رغم [...] الخاطىء الذي للبؤر الريفية من قبل [...] وهنالك سببان لهذه الوظيفة الايجابية :

١ – على المستوى المحلي ، استندت الجبهات [...] الشبكة التنظيمية للحزب ، لان [...] اختارها لانشاء جبهات هي نفس [...] التي كان تتمتع فيها الحزب [...] بقاعدة اجتماعية منظمة .

٢ – على المستوى الوطني ، تم مساندة [...] القتالية عبر وصلها بالطبقة العاملة [...] وبالمؤخرة المدينية ، التي كانت تؤمن [...] البشرية والفنية غير المتوفرة في [...] خاصة في بداية النضال .

[...] وجود مثل هذا الجهاز السياسي على [...] المحلي والوطني قد سهل بشكل هائل [...] ترسيخ اول الجبهات المسلحة في الارياف.

وهنالك عنصر ايجابي آخر ، لعب دورا حاسما عندما انقطع الحزب الشيوعي عن تقديم مساندته للجبهات القتالية في عام ١٩٦٦ ، وهذا العنصر هو الدخول المباشر للقادة المقاوير في قواعدهم العملياتية المختلفة :

دغلس في الفلكون ، ارغميرو في لارا وفبريسيو في الاند ، هم ابناء المنطقة ، وعلى الاقل في القطاع الصغير ، المحدود ، الذي انطلقت منه كل جبهة ، يعرفون الناس والاراضي ، والجماهير تحبهم . التكلم عن دغلس برافو لفلاح من الفلكون يساوي اكثر من اية عملية تقديم ، ليس فقط لانه اشهر قائد ثوري في البلد ، بل لانه ايضا من الفلكون . ومن ناحية اخرى ارغميرو كان نوعا من الزعيم المتنور المحبوب الذي يستطيع تحريك الجماهير بمجرد وجوده ، وكذلك فبريسيو في الاند . هذا العنصر – الذي لم يكن وليد الصدفة لعب دورا حاسما بالنسبة للحركة المسلحة في اوائل انطلاقتها . في هذه الفترة ، تلعب الصلة الانسانية (السياسية) والمعرفة القديمة دورا يفوق دور اول الانتصارات العسكرية ، ويسمح للجبهات القتالية ان تستمر وتنمو .

على هذا الصعيد ، تظهر الى حيز الوجود الادارة السياسية الجديدة على محاذاة الحزب القديم في طريقه الى الانقسام ، وتظهر بالضبط في هذه « القاعدة الاجتماعية الصغيرة » الشخصية لدوغلس وارغميرو وفبريسيو ، في وسط هؤلاء الفلاحين الجدد الذين يبداون بالنهوض ، وتصبح الجبهات القتالية ، جبهات فعلية عبر معرفة الارض التي تناضل عليها ومعرفة الناس ، فتنال تدريجيا احترام ثم تعاطف الفلاحين الذين اعدوا بصبر لكي يصبحوا الوسط الطبيعي للعصابات ، مثل الماء بالنسبة للسمك .

وبالفعل فان القاعدة الفلاحية التي صقلتها العصابات دون تدخل الانحرافات البيروقراطية والاصلاحية للحزب القديم ، تشكل الخطوة الاولى في عملية اعادة اكتشاف الاداة السياسية للحركة الثورية ، فان غياب مثل هذه الاداة يؤدي حتما الى كارثة .

ولكن في بلد كفنزويلا حيث تزداد يوما بعد يوم سرعة التحديث النيو – راسمالي وحيث تنسف الغزو التكنولوجي البنى الزراعية الاقطاعية المهترئة ، التي بنيت على اساسها العصابات في فترتها الاولى ، لن تستطيع ابدا حركة مسلحة ان تنمو وتستمر باستنادها فقط على القاعدة الاجتماعية الفلاحية ، خاصة اذا كانت هذه القاعدة ، قاعدة فلاحية بدائية بعيدة عن الدينامية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلد .

فعلى الحركة المسلحة ان تستند ايضا واساسا على الطبقة الفلاحية الجديدة ، التي ولدتها الاصلاحات البنيوية ودخول الاساليب الصناعية الى الريف : هؤلاء الفلاحون الجدد يعملون باجور ثابتة ، يقودون التراكتورات او يشغلون انظمة الري الحديثة ، يعيشون في قرية وليس في خربة ، يذهبون الى السينما ويتحدثون عن السياسة . ففي المستقبل يجب ان تستند الحركة الملحة على هذه الطبقة ، في سعيها وراء النمو والتاطير والتوسع . لكن الحركة المسلحة في بدايتها لم تعر الانتباه الكافي لالية تحول الريف هذه ، وحاولت ان تاخذ وحيها من اوضاع « السيراميسترا » الكوبية او من الفيتنام والصين الاقطاعية ، مما ادى بها ، في كثير من الاحوال الى اوضاع فولكلورية لا علاقة لها بحركة كفاح مسلح حسنة التخطيط والاداء ، او ادى بها في اسوا الاحوال الى اوضاع ماساوية .

ومن الطبيعي ان تحدث مثل هذه الامور في بداية اي حركة مسلحة ثورية . فقد تم اختيار المناطق الثلاث التي ستنشا فيها جبهات قتالية على اساس الشروط العامة الكلاسيكية لمثل هذا الخيار :

- وضع سكاني فلاحي كثيف ومعروف ..
- بنيان زراعي بدائي ..
- طوبوغرافية صالحة لتحرك الوحدات السريع .

لكن ، لم يخطر على بال الذين حددوا مواقع الجبهات القتالية ان ياخذوا بعين الاعتبار عملية التصنيع السريعة للريف التي كانت تتم على طول شبكة الطرق التي تخرق البلاد بشكل خط قطري : بالضبط في الاتجاه المعاكس لمواقع الجبهات القتالية !! وستزداد مع مرور الايام ، الاهمية السياسية والاجتماعية لهذا الخط ، ان بالنسبة لما يمثله على المستوى الاقتصادي وان بالنسبة لتكوين تجمعات سكانية كثيفة من ريفي على موازاته . وتعيش هذه التجمعات ظروف استغلال اكثر تسترا ولكن ليست اقل قسوة من ظروف الفلاح البعيد الذي لا يزال في الاقطاعة « الهسيندا » . واخيرا ، عندما اختار قادة الحزب الشيوعي ، مواقع الجبهات لم يكونوا مستندين الى خطة متماسكة تعكس الوجه الجديد للبلاد ، بل انساقوا وراء اعتبارات مباشرة لا شك في انها ساعدت على ترسيخ الجبهات ، الا وهي المعرفة المسبقة للقاعدة الاجتماعية . لكن هذا الشرط كان متوفرا في مناطق اخرى اكثر ملاءمة لاوضاع البلاد المتحركة بسرعة .

ومن ناحية ثانية ، هنالك سبب آخر يفسر ميل اول الجبهات القتالية الى الانسحاب الى الجبال: فان المسافة المتنامية ما بين المنظمات المبادرة والجبهات القتالية ، ارغمت هذه الجبهات على الاستناد على قاعدتها الخلفية المحلية ، اي على فلاحي المنطقة المحددة .

ويصبح المقاتل المتمرد نوعا من الناسك المتمرد الذي يعمل ثم يلتجىء الى قاعدته الاجتماعية الضيقة ، بعيدا عن العالم ، الى ان يتصل به الحزب مجددا ويرسل له تعليمات ، كثيرا ما تكون غير مناسبة . ونرى هنا بالضبط ما ذكرناه سابقا ، اي تواجد الحركة الثورية الناشئة في كنف حزب اصلاحي .

اما المظهر السلبي الثاني فقد ساهم بقدر كبير في ابعاد الجبهات المقاتلة عن الجماهير : وياتي هذا المظهر عن السحب الالي الاسطوري للمعطيات الكوبية على واقع فنزويلا الخاص ، مما ادى بوحدات المقاوير الى ان تغوص اكثر فاكثر في اعماق جبال جرداء ، وكثيرا ما كانت وحدات الجيش تتجنب الكمائن المنصوبة لان هذه المناطق الجبلية ليست ذات اهمية على اي مستوى كان !

وبدات هذه الوحدات تستهلك نفسها في عزلتها لظنها الخاطىء ان العصابات يجب ان تهيمن اولا على اكثر مناطق البلد بعدا ثم توسع تدريجيا « المنطقة المحررة » الى ان تقترب في يوم بعيد من الطريق ، حسب التاويل الالي لتجربة « السيرا ميسترا » الكوبية !!..

وباتباعهم مثل هذا التكتيك الغريب ، كان المقاوير يديرون ظهورهم الى الواقع !!

كانوا يديرون ظهورهم الى الواقع عندما تجاهلوا ان البنيان الزراعي في فنزويلا يختلف عن البنيان الزراعي في كوبا وفيتنام – وهما بلدان لهما اقتصاد زراعي – فيما يتعلق بدور المناطق الريفية البعيدة وفلاحي الجبال بالنسبة الى العصابات .

كانوا يديرون ظهورهم الى الواقع عندما جاهلوا دينامية الفلاحين الفنزويليين التي كانت تدفع بهم بالضبط الى « الخروج التدريجي من الريف » (بالمعنى التقليدي) والتجمع على محاذاة المحور الطرقي المتوسط مع بنيانه الراسمالي الزراعي المكثف وسكانه الجدد الريفيين والمدينيين في آن واحد ، وان هذا الوسط ، وليس الجبال البعيدة – هو الوسط الطبيعي والماء الصافيه التي كان يجب ان يتحرك فيها المقاتلون كالسمك .

وقد ساهمت سلسلة من العوامل المتراكمة في جعل الحركة الملحة الريفية تقفز قفزة نوعية ، بعد فترة طويلة من الجمود . فالجيش الرجعي ، الذي اكتفى بمراقبة القواعد الاولى عن كثب ، يدخل المسرح فجاة وبشكل حاسم ، فينهال الارهاب على الفلاحين ، وتنضم اقرب العناصر الفلاحية الى العصابات .

فقد ارغم هذا الوضع الجديد الثوريين على اخلاء قواعدهم الضيقة مؤقتا وعلى محاولة رفع النوعية الفنية لاسلحتهم . وقد افرز الوضع الجديد الضرورات الملحة التالية :

- ١ – توسيع نطاق عمل الجبهات ، مما يؤدي بالفعل الى توسيع قاعدتهم الاجتماعية ، ومن ثم تنظيمهم السياسي .
- ٢ – تامين صلة فعلية مع المدينة وبناء قاعدة خلفية في المدن تحل محل الحزب الشيوعي وتؤمن الموارد الفنية والبشرية غير المتوفرة في الارياف (وكان الحزب وقتذاك قد بدا يخرب نشاط الجبهات القتالية في سعيه وراء « السلم الديمقراطي »)
- ٣ – واخيرا ، بناء تنظيم سياسي على المستوى الوطني ، تستطيع العصابات ان تستند اليه لكي تؤطر بشكل عضوي نضالات الطبقة العاملة والطلاب والقطاعات الهامشية . لانه ، اذا كانت العصابات تحتاج الى مساندة محلية بدائية لكي تستمر ، فلا بد من حزب سياسي صلب البيان ، ترسو جذوره بين جميع طبقات الشعب ، لكي تتحول العصابات الى جيش ثوري .

تجاه سيطرة الجيش على نقاط الارتكاز الصغيرة البدائية في المقاطعات الثلاث التي اختيرت في البدء ، تجاه الاقتصاد الزراعي الفقير في المناطق النائية حيث ظهرت الجبهات القتالية وما يعني هذا الوضع على المستوى الديمغرافي والسياسي، تجاه الحاجة الى التحرك في وسط اكثر حيوية وحيث العدو لا يستطيع ان يكون في استنفار مستمر ، بدات العصابات تفتح طرقا جديدة ادت بها الى صلات اوسع مع القطاع الديمغرافي الصناعي الواسع في فنزويلا ومن ثم اندماج افضل بالواقع الوطني المعقد للبلد ، رغم طبيعته النيوكولونيالية ، لن يسمح بتكرار حرب فلاحية كلاسيكية على اراضيه .

وتحاول الجبهات القتالية في نفس الوقت ان تجد حلا للمازق الذي وضعهم به قرار الحزب بسحب مساندته ، وذلك ، بالضبط في الوقت الذي كانت العصابات في اشد الحاجة الى تنظيم تربطهم بجماهير المدن ، وتؤمن لهم الراسمال البشري والاسلحة الضرورية لمواجهة عدو الف مرة اقوى مما كان في المناطق النائية السابقة .

وكثيرا ما حاولت عناصر ان ترتبط او تلتحق بالجبهات ، لكنها اصطدمت بالحزب الشيوعي ، وهو في طريقه الى « التصحيح » (الى العودة الى الخط الاصلاحي المسالم) .

وفي هذه الظروف بدات الجبهات القتالية تنشىء شبكاتها الخاصة للدمج والاستيعاب ، في المدن وفي المحاور الريفية – المدينية للبلد ، وحيث تتواجد اغلبية السكان .

ان المناطق الريفية النائية والبعيدة لعبت وسوف تلعب دورا هاما بالنسبة للعصابات في امركا اللاتينية ، ولكن فقط اذا اتيحت لهذه العصابات الفرصة بان تنمو وتنتظم في هذه المناطق في فترات محددة ، خلال بناء الجيش الشعبي .

ومن المفيد ان نذكر ان عملية اعادة الاكتشاف والبحث من قبل الجبهات القتالية الثلاث (توسيع القاعدة الاجتماعية المحلية ، التوجه الى المناطق الريفية الحديثة ، انشاء مؤخرة في المدن ، احلال تنظيمات جديدة محل تنظيمات الحزب الشيوعي) قد تمت بشكل تجريبي وفي حالة عزلة تامة لكل من الجبهات ، بسبب السياسة التي كان يتبعها الحزب الشيوعي . وعندما تخلى الحزب الشيوعي في عام ١٩٦٦ عن الجبهات القتالية ، تجمعت هذه الجبهات في اطار « القوات المسلحة للتحرير الوطني » . وفوجىء المقاوير عندما اكتشفوا ان كل جبهة على حدة قد سارت بالضبط على نفس الطريق ، واكتشفت على حدة نفس قوانين الحرب الثورية، دون امكانية نقل دروس تجاربها الى جبهة اخرى لكي تتجنب الوقوع بنفس الاخطاء .

ان البؤرة الثورية هي بنفس الوقت سبب ونتيجة :

- سبب ، لانها ، اذا ارست جذورها على المستوى المحلي والوطني في القاعدة البروليتارية والفلاحية والطلابية ، سوف تستطيع ان تمارس عنفا ثوريا جديدا وتدفع الاحداث الى الامام .
- نتيجة ، لانها لن تستطيع ان تستمر الا اذا اتت كتعبير عن نضج الازمة البنيوية من جهة وكتعبير عن الشروط الذاتية الضرورية من جهة اخرى ، وذلك بشكل تنظيم سياسي ثوري له حجم وطني .

وعندما تتركز البؤرة الثورية ، وتكون قد بلغت مستوى معين من التطور الفني ، تستطيع (كتعبير عن الشروط المذكورة آنفا) ان تلعب دور المحرك الدافع داخل المجتمع .

ان الاطار العام الذي توجد فيه الان العصابات لا يسمح بالعودة الى تعايش الطبقات . ان العصابات موجودة في اطار العنف المنافي عن ازمة النظام التدريجية ، العنف الذي سينمو ويتوسع الى ان يتم تجاوز الازمة ، اي الى ان يتم تجاوز الاستعمار الجديد على امتداد القارة الامركية الجنوبية .

في وضع كهذا ، تجب ادانة كل المحاولات الاصلاحية لكي تؤخر وتضبط العمل التمردي الذي يطالب بصوت عال بان يدفع الى الامام ، بان يؤطر ضمن تقدمه العنيد والحتمي على مستوى التاريخ ، كما تثبته تجارب كولومبيا واوروغواي والمكسيك وفنزويلا ، ومؤخرا الانفجارات الثورية العنيفة في غواتيمالا والبرازيل .